المصـــــدر : الرياض
التـــاريخ : 11-07-2007
الصفحـات : 21
العـــدد : 14261
المسلسل : 181

شخصية العام

كيف يمكن للسعوديين مكافأة قائدهم؟

عادل بن زيد الطريفي

لو قيمنا الجهود الدبلوماسية لإحياء السلام وتحقيق الاستقرار عالمياً لوجدنا أن الملك عبدالله بن عبدالعزيز يكاد يكون الشخصية الوحيدة التي تمكنت خلال هذا العام من استضافة أربع مفاوضات سلام شملت كلاً من العراق، وفلسطين، والسودان، وتشاد، ولبنان، وإيران. كل هذه المفاوضات التي حظيت باهتمام إقليمي ودولي كبيرين كانت بمبادرة شخصية منه، بل إن أهم مبادرة سلام دولية تم إحياؤها خلال هذا العام كانت «المبادرة العربية للسلام»

المصـــــدر : الرياض
التـــاريخ : 11-07-2007 العـــدد : 14261
الصفحـات : 21 المسلسل : 181

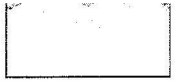

■ لو كنت أملك رأياً فيما تنشره وسائل الإعلام الدولية حول شخصية العام - كقائمة مائة التي تصدرها التام والنيوزويك الأمريكيتين أو الديرشبيجل الألمانية - لسميت الملك عبدالله بن عبدالعزيز شخصية هذا العام، ولا أقول هذا الكلام من قبيل المدح والثناء - وهما أمران يستحقهما بلا تزيد - ولكن لأنني أعتقد أنه يستحق هذا اللقب بجدارة واستناداً إلى المقاييس الموضوعية والمهنية. البعض يعتبر أن الكتابة عن أي مسؤول - فكيف برأس الدولة - أمر يجب أن يتجنبه المثقف والمحلل كي يحافظ على استقلاليته. بيد أنني أجد ذلك غير صحيح في كل الأحوال، لأننا بذلك نختار أن لا نعلق إلا على سلبيات السياسي ونواقصه، ونتعامى عن مزاياه وانجازاته، بل إنه وفي منطقتنا العربية يصبح الثناء والإشادة بالمواقف الإيجابية للقادة أمراً ضرورياً لأننا بهذه الطريقة نشرع أمام الساسة السبيل الحقيقي لرؤية النماذج الإيجابية.

أما لماذا الملك عبدالله؟.. فلسببين أجدهما غائبين بعض الشيء عن أذهان البعض داخل المملكة وخارجها:

- أولاً، أنه في وقت تتعثر فيه المنطقة بالحروب الأهلية، وتتراجع فيه اقتصاديات الدول المجاورة، وتتعالى فيه النعرات القبلية والدينية، استطاع هذا القائد السياسي في أقل من عام واحد أن يدشن مشروعات اقتصادية واجتماعية وتعليمية غير مسبوقة في المنطقة، وأن يجمع وحدة بلده وشعبه حول عهد إصلاح وتحديث بعيداً عن أي انقسامات كانت مناطقية أم طائفية. قد تبدو هذه كشؤون داخلية غير مهمة للعالم الخارجي، ولكن مقارنة بسيطة بين جهود المملكة التنموية وأوضاع دول المنطقة يبدو عبدالله بن عبدالعزيز الأكثر التزاماً بالتغيير والإصلاح في وقت انصرف عنه كثير من القادة بعد أن هدأت شعارات الإصلاح في المنطقة. أي أننا أمام قائد مقتنع بالإصلاح والتغيير ويتقدم إلى الأمام برؤية تحديثية وبشكل مستقل ودونما إملاءات من أحد - لا في الداخل ولا في الخارج -، وهذا وحده امتياز يؤهله لهذا الترشيح.

- ثانياً، أننا لو قيمنا الجهود الدبلوماسية لإحياء السلام وتحقيق الاستقرار عالمياً لوجدنا أن الملك عبدالله بن عبدالعزيز يكاد يكون الشخصية الوحيدة التي تمكنت خلال هذا العام من استضافة أربع مفاوضات سلام شملت كلاً من العراق، وفلسطين، والسودان، وتشاد، ولبنان، وإيران. كل هذه المفاوضات التي حظيت باهتمام إقليمي ودولي كبيرين كانت بمبادرة شخصية منه، بل إن أهم مبادرة سلام دولية تم إحياؤها خلال هذا العام كانت «المبادرة العربية للسلام»، والتي حظيت فور تجديدها بساعات بتوافق دولي كبير عكس مقدار الاحترام والثقة التي يتمتع بها بين قادة دول العالم.

سواء أعطي الملك عبدالله هذا اللقب أم لا، فهو بالنسبة لمواطنيه شخصية العام بلا منازع. يشهد على ذلك مقدار الحب والتكريم الذي يحظى به بين مواطنيه، والذي انعكس في صوره المتعددة التي يضعها الشباب السعودي - بدافع ذاتي - على نوافذ مركباتهم، أو على مواقعهم الشخصية على الانترنت. وقد لا يكون مستغرباً حين تكون كاريزماه الذاتية باعثاً للبعض بإنشاء موقع خاص بجهود فردية لمتابعة أخباره وأخر ما يكتب عنه في الصحافة الدولية كموقع - www.king abdullah.info .

الإعجاب بشخصية الملك عبدالله لا يخص السعوديين وحدهم، بل إن خبراء وسياسيين غربيين وعرب أبدوا إعجابهم بأدائه السياسي ومسار الإصلاح داخل بلده، وجولته الأوروبية - العربية الأخيرة التي حظيت بمتابعة واهتمام كبيرين خير شاهد على شعبيته خارج المملكة.

ولعل المملكة كدولة محظوظة لوجوده في موقع المسؤولية اليوم، إذ أن مراجعة سريعة لإنجازات هذا العام تجعلك تدرك أنك أمام قائد جاد في تغيير البلد نحو الأفضل، وفي تحسين الأوضاع الاقتصادية والمعيشية لمواطنيه. فخلال هذا العام فقط دشن العاهل السعودي مشروع «تطوير التعليم العام» بمراحله الستة وبتكلفة ٩ مليارات ريال، والذي يسعى إلى تطوير مهارات التعلم لدى أكثر من ٥ ملايين طالب وطالبة، وقرابة ٤٠٠ ألف معلم ومعلمة. كما قام هذا العام بوضع حجر الأساس لبعض المدن الاقتصادية الجديدة المتضمنة في رؤيته «خطة المدن الاقتصادية الست»، والتي تشمل كلاً من جدة، ورابغ، وحائل، وتبوك، والمدينة المنورة، وجازان، بشكل يستهدف إنعاش أجزاء كبيرة من مدن المملكة وتوفير مئات الوظائف للجيل الشاب في مناطقهم. إضافة إلى ذلك، أقر خطة جديدة للتعليم العالي تهدف إلى فتح جامعات ومعاهد تقنية جديدة في أكثر من عشر مدن سعودية لعل أبرزها جامعة العلوم والتكنولوجيا التي وعدنا بأنها ستكون أبرز جامعة في المنطقة. طبعاً، هذه بعض إنجازات هذا العام الجديدة، رغم أن هناك مشروعات أخرى بدأت تبرز نتائجها الإيجابية كمؤسسة الملك عبدالله لوالديه والتي تنفذ حالياً عدداً من المشروعات الهادفة لإنشاء وحدات سكنية للأسر المحتاجة، وأكثر من خمسين إصلاحاً قانونياً وإدارياً استجابة لمتطلبات انضمام المملكة لعضوية منظمة التجارة العالمية، يضاف إلى ذلك عدد من المجالس الاقتصادية والاستثمارية التي تحظى بإشرافه الشخصي، ومواصلته للحوار الوطني الذي أشرك فيه كافة الأطياف والمذاهب والتيارات في البلد، ومبادرات أخرى كتخفيض نفقات المعيشة على المواطنين عبر تخفيض أسعار وقود المركبات، ومشروعه الساعي إلى إنشاء صندوق استثماري لذوي الدخل المحدود، وزيادة رواتب الموظفين في الدولة. كل تلك

المصـــــدر : الرياض
التـــاريخ : 11-07-2007 العـــدد : 14261
الصفحـات : 21 المسلسل : 181

الأمور ساهمت في إنعاش البلد بعد فترة ركود نتيجة لتراجع أسعار النفط نهاية التسعينيات، ثم نكسة سوق المال السعودية قبل عام ونصف.

أما أبرز إنجاز له في ذكرى بيعته الثانية، فهو «إنشاء هيئة البيعة»، والتي حددت بشكل غير مسبوق توجهات البلد المستقبلية، ورسمت صورة توافق مهم داخل البيت السعودي. فهي تقدم رسالة مهمة للداخل والخارج مفادها أنه ليس المهم من سيجلس على كرسي الحكم السعودي، بل الأهم هو أن الحكم للأصلح، وللشخص الذي يتم التوافق حوله بين جيل أبناء المؤسس أصحاب التجربة التاريخية، والجيل الثاني من الأحفاد المتعلمين من رجال الدولة، الذين أثبتوا تميزاً في الخدمة المدنية.

أمام هذه الإنجازات المتوالية يمكننا القول إن القيادة السعودية تسير في الاتجاه الصحيح، ولكن هذا ليس كافياً، ويجب أن لا يدفعنا للتوقف عند ما تم تحقيقه. المملكة بلد غني ومستقر، ولكنه كغيره من بلدان العالم يواجه تحديات ضخمة، ويحتاج إلى إصلاح متواصل ومستمر في مجالات سياسية واقتصادية مهمة باتت تضغط على مستقبل البلد داخلياً وخارجياً. موضوعات مثل البطالة، والإرهاب، والفقر، والمشاركة السياسية كلها مطروحة للاختبار، والقيادة السعودية واعية لهذه التحديات وتجتهد لرسم خطواتها الإصلاحية. بيد أنني أعتقد أن الإصلاح الآن لم يعد مرهوناً بالسياسي فقط كما كان الأمر في السابق، بل إن المواطن اليوم مسؤول بشكل أكبر عن مستقبل البلد.

هذه المدن الاقتصادية ستنشأ لأجل من؟ وهذه المشروعات التعليمية لمن ستقدم خدماتها؟ وهذا الإصلاح من سيستفيد منه؟.. كل هذه بلا شك موجهة لخدمة المواطن، ولكن يجب أن لا ننسى أن نجاح أو فشل هذه المشروعات سيعتمد على المواطن في المقام الأخير، وأن عليه واجبات كثيرة توازي مطالبه. إحدى مشكلات المواطن السعودي - للأسف - التي خلقتها الطفرة الأولى أنها جعلته شخصية اتكالية، فهو ينتظر أن تقوم الدولة بكل شيء: فهي تفكر بما يجب القيام به، ثم تقوم بالتنفيذ والتشغيل، ثم التوظيف، وإلى غيرها من الخدمات، وإذا ما حدث تقصير أو خطأ فهي مشكلة الحكومة وليست مشكلته. صحيح، أن الحكومة مطالبة بهذه الأعمال ولكن واجب المواطن هو خلق الروح والإنتاج في هذه المنشآت والمشروعات. اليوم، البلد يمر بمرحلة تنفيس اقتصادي وفرته عائدات النفط الأخيرة، ولكن هذه الفسحة ستكون قصيرة الأجل - وهو أمر طبيعي - استناداً لدورة الاقتصاد العالمي. هي فرصة أن يستفيد السعوديون بأقصى ما يمكنهم من هذه المرحلة حتى يوفروا لأنفسهم ولأولادهم فرص عيش أفضل.

شخصية كالملك عبدالله تستحق الاحتفاء أكثر من مرة في العام، وإذا ما أراد السعوديون الاحتفاء به حقيقة، ومكافأته على جهوده وإخلاصه فهو برعاية مشروعاته واستثمارها كما ينبغي أن تستثمر. المواطن السعودي يستطيع تكريم الملك عبدالله بالاجتهاد في تعليمه وفي عمله وعبر رعايته لأبنائه بشكل وطني وإيجابي. إننا إذا عززنا العمل التطوعي، ورعينا المحتاجين والضعفاء فيما بيننا، وقدمنا رسالة تسامح وشراكة مع العالم الخارجي، وحاربنا التطرف في جميع أشكاله وصوره، ووقفنا ضد الفساد، وسوء الإدارة نكون بذلك قد كرمنا قائد هذا البلد وحفظنا كلمتنا وبيعتنا له، وذلك خير من أي تكريم، ومن أي لقب تمنحه أي جهة.

كنتُ كتبتُ قبل عام: إن الشعب السعودي فخور بـ عبدالله بن عبدالعزيز.

أقول هذا العام، وكل عام - إن شاء الله -:

سيدي.. شعبك فخور بك.

altoraifi@alriyadh.com